الاشكاليات المنهجية والمعرفية في الدراسات المقارنة بين النص القرآني ونصوص الكتاب المقدس

Methodological and epistemological issues in comparative studies between the Qur'an and the Bible

أ.د. نور مهدي كاظم الساعدي
جامعة وارث الانبياء- كلية العلوم الاسلامية

Dr. Noor Mahdi Kadhum Alsaadi
University of Warith Al-Anbiyaa
College of Islamic Science

تاريخ إستلام البحث: 2026/1/17	تاريخ القبول: 2026/1/24	تاريخ النشر: 2026/1/1
Published: 1 / 1 / 2026	Accepted: 24 / 1 / 2026	Recevied: 17/ 1 / 2026

ملخص البحث:

الدراسات التي تهتم بمقارنة النصوص الدينية السماوية لبيان موارد الاتفاق والاختلاف فيما بينها، في الاعم الاغلب تواجه اشكاليات حقيقية، احيانا يمكن حلها والوصول الى نتائج علمية، واحيانا كثيرة لا يمكن تجاوزها لذلك تأتي النتائج إسقاطية أكثر من كونها استنباطية، لذلك فإن البحث ينبني على فرضية مفادها ان الاشكاليات المنهجية والمعرفية في عملية المقارنة بين النص القرآني ونصوص الكتاب المقدس في موضوع ما، لا يمكن تجاوزها إلا في حال تم دراسة نصوص الكتاب المقدس بلغته الاصيلة وليست المترجمة، وفي حال دراسة تلك النصوص بلغتها، ستكون النتائج دقيقة بنسبة ما، لأن اشكالية تغاير الخصائص بين النصين نادرا ما يتم التفاعل معها بموضوعية.

الكلمات المفتاحية: اشكالية، منهجية، معرفية، الكتاب المقدس، النص القرآني

Abstract

Studies that compare revelatory texts to identify points of agreement and disagreement between them often encounter real problems. Sometimes these problems can be solved and scientific conclusions reached, but often they cannot be overcome, resulting in conclusions that are more

speculative than deductive. Therefore, this research is based on the hypothesis that the methodological and epistemological problems in comparing the Qur'anic text and the Bible texts on a given topic can only be overcome if the Bible texts are studied in their original language and not in translation. If these texts are studied in their original language, the results will be more accurate, because the problem of differences in characteristics between the two texts is rarely dealt with objectively.

Keywords: Problematic, Methodology, Epistemology, Holy Book, Qur'anic Text

مقدمة البحث

الدراسات التي تهتم بمقارنة النصوص السماوية لبيان موارد الاتفاق والاختلاف فيما بينها، في الاعم الاغلب تواجه اشكاليات حقيقية، احيانا يمكن حلها والوصول الى نتائج علمية، واحيانا كثيرة لايمكن تجاوزها لذلك تأتي النتائج إسقاطية أكثر من كونها استنباطية، ومحل البحث هنا الوقوف على تلك الاشكاليات وبيان وظيفتها في عملية المقارنة.

مشكلة البحث

ان النص القرآني ونصوص الكتاب المقدس لكل منها سمات خاصة، قد تشترك في بعضها إلا انها تختلف في سمات كثيرة، لذلك فإن البحث يسعى للإجابة عن مجموعة من التساؤلات المنهجية والمعرفية الخاصة بعملية المقارنة بين النص القرآني ونص الكتاب المقدس أهمها:

١. ما درجة تحقق الموضوعية في الدراسات المقارنة مع وجود التباين في خصائص النصين؟

٢. ما علاقة الترجمة في عملية المقارنة سيما وان نص الكتاب المقدس مترجم من لغات عدة مقارنة بالنص القرآني المكتوب والمحفوظ بلغته الاصيلة؟

٣. الاشكاليات المنهجية في عملية المقارنة بين النصوص ما مدى تأثيرها على نتائج المقارنة في محل البحث؟

فرضية البحث

البحث يريد الوصول الى نتيجة مفادها ان الاشكاليات المنهجية والمعرفية في عملية المقارنة بين النص القرآني ونصوص الكتاب المقدس في موضوع ما، لا يمكن تجاوزها إلا في حال تم دراسة نصوص الكتاب المقدس بلغته الاصيلة وليست المترجمة، وفي حال دراسة تلك النصوص بلغتها، ستكون النتائج دقيقة بنسبة ما، لأن اشكالية تغاير الخصائص بين النصين نادرا ما يتم التفاعل معها بموضوعية.

منهجية البحث

يعتمد البحث على منهجية العرض والتحليل والنقد، عبر مبحثين:

الاول: سمة النص القرآني والكتاب المقدس

الثاني: الاشكاليات المنهجية والمعرفية في الدراسات المقارنة بينهما.

المبحث الاول: سمات النص القرآني ونصوص الكتاب المقدس

النص الديني له هوية خاصة به، يُعرف بها وتميزه عن النصوص الاخرى الدينية منها وغير االدينية، لذلك من الضرورة بمكان عند دراسة نص ديني معين ينبغي الالتفات الى:

١.خصائص ذلك النص.

٢.خصوصيته عند من يؤمن به.

٣.كيفية التفاعل معه من قبل الدارس له.

إذ ليس من الموضوعية التعامل مع النصوص الدينية انطلاقا من كونها ألفاظ وتراكيب لها دلالات قد تتوافق مع رؤية الدارس لها وقد لا تتوافق.

من هنا كان لابد من معرفة خصائص النص القرآني اولا، ومن ثم معرفة خصائص نصوص الكتاب المقدس ثانيا، لمعرفة إشكاليات المقارنة بينهما.

اولا: خصائص النص القرآني

يتسم النصّ القرآني بخصوصية الوحي التي تجعله مغايرا في طبيعته ومصدره ووظيفته لسائر النصوص الأخرى، فهو نصٌّ إلهيُّ المصدر، إنسانيُّ التلقّي.

وقد اجتمعت فيه من الخصائص البنيوية و المعرفية والبيانية ما يدل أنه ليس نتاجًا لخبرة لغوية بشرية[١]، بل هو تمظهرٌ لغويٌّ للوحي الإلهي، قد تجلّى بلسان عربي مبين من دون أن يفقد سمته الإلهية، ويمكن تحديد أهم هذه الخصائص في المحاور الآتية:

•خصيصة (المصدر المتعالي)

يُعدّ النص القرآني نصًّا متعالي المصدر، صادرًا عن الله سبحانه، متحررا من قيد الزمان والمكان، فهو لا ينتمي إلى التجربة الإنسانية في إنتاج النصوص، بل يتجاوزها من حيث النشأة والمضمون والغاية.

وتمنحه هذه الخصيصة صفة المرجعية المعرفية والدلالية، إذ يستمد حقانيته من كونه وحيًا إلهيًا لا يتطرق إليه النقص أو التبديل، لأن (القرآن هو المعادل بالوعي لهذا الخلق الكوني أي أنه الحق الذي يعادل الخلق، فهو المحتوى للمنهج الكامل)[٢]، فيكون النص معيارًا مرجعيًا للحقيقة.

•الخصيصة البنائية (النسق المعجز)

يتميّز القرآن ببنية لغوية تقوم على تناسق عضويّ بين اللفظ والمعنى والدلالة، وبين الجزئي والكلّي، مما يمنحه وحدة موضوعية تتشكل وفق السياق القرآني الضابط لها، فيتجلى اعجاز ذلك النسق اللغوي عبر:

✓توازن الدلالات في السياق الواحد.

✓إحكام العلاقات النصية الداخلية بين السور والآيات.

✓التآلف الإيقاعي والصوتي الذي يخدم الدلالة دون أن يخلّ بها.

(فلكل حرف وظيفته «الألسنية البنيوية» في الإنشاء القرآني الذي هو ليس مجرد بلاغة

فقط، فالاستخدام الإلهي للمادة اللغوية ولأي مادة في الكون يختلف نوعيا عن الاستخدام البشري مع وحدة خصائص المادة، فحين يستخدم الله اللغة العربية في التنزيل فإنه يستخدمها وفق مستوى إلهي يقوم على الإحكام المطلق فلا يكون في القرآن مترادفات توظيفا ضمن جناس وطباق، إذ تتحول الكلمة ضمن الاستخدام الإلهي إلى مصطلح دلالي متناهي الدقة)[٣]، وبذلك يشكّل النص القرآني «النموذج»[٤] في البنية النصية الكاملة التي تعجز التجربة البشرية عن محاكاتها، وهو ما يُعرف بـ» النظم القرآني المعجز»[٥].

•الخصيصة المعرفية (المرجعية المطلقة)

النص القرآني ليس نصًا وصفيًا ينتمي إلى وسط فكري محدد، بل هو نظام معرفي شامل يُقدّم رؤية كونية متكاملة للوجود والإنسان والقيم.

فهو يجمع بين الحسّ والعقل والوحي، ويعيد تشكيل الوعي الإنساني ضمن نسق من المعاني الموجهة إلى الحقيقة، ومن ثمّ، يمثّل القرآن مرجعًا معرفيًا مطلقًا لا يتقيد بالمناهج الوضعية أو السياقات التاريخية، بل يؤسّس لها ويوجّهها[٦].

•الخصيصة الدلالية (الاتساع الدلالي والانفتاح التأويلي المنضبط)

يمتاز النص القرآني بالاتساع الدلالي[٧]، مما يجعله نصا قابلا للتأويل المتجدد وفق الضوابط اللغوية والمقاصدية، إذ تتسم دلالاته بالعمق، الذي يتيح للمتلقي إمكانات فهم متعددة، مع بقاء المعنى المركزي ثابتًا مرتبطًا بمقاصد معرفية وتشريعية.

وهذا ما يفسّر استمرارية فاعليته الفكرية والروحية، وقدرته على التفاعل مع السياقات التي يفرضها التنوع الزماني والمكاني، وهنا ثمة ملاحظة مهمة وهي ان ظهور معان جديدة للفظ معين لا يعني تبدل او تغير دلالة ومعاني ذلك اللفظ، بل هي بمثابة مفاهيم اخرى تضاف للمفاهيم السابقة، ليتم النظر فيها عبر منظار كلي يقوم على الجمع بين المفاهيم، لا على نحو إحلال لمفاهيم بدل أخرى من دون مرجح[٨].

•الخصيصة المقاصدية (البعد الغائي للخطاب)

النص القرآني ليس خطابًا جماليًا أو معرفيًا فحسب، بل هو خطاب هادٍ يتجه نحو بناء الإنسان والمجتمع وفق مقاصد ربانية عُليا، فكل آية فيه تندرج ضمن نسق من الغايات الكبرى منها: تحقيق الهداية، وإقامة العدل، وإرساء قيم الحرية والكرامة والتزكية وصولا لحياة طيبة.

فالنصّ القرآني يتجاوز الإخبار إلى الفعل والتأثير، مما يعكس طبيعته الإلهية الموجِّهة، الحاكية عن حقيقة لا تتضح معالمها إلا مع التفكر في النص والإفادة من النضج العقلي الذي يعمل على استنطاق

النـص لإسـتخراج مقاصـده[٩]، التـي تمثـل المركزيـة في عمليـة دراسـة النـص القـرآني وفهـم بنيتـه المعرفيـة.

•الخصيصة الجمالية

يحمـل القـرآن بعـدًا جماليًـا متفـرّدًا، إذ تتجلى فيـه بلاغـة تتجـاوز الفـن إلى الكشـف، تجمـع بـين التأثـير الصـوتي، والصـورة البلاغية، والتكثيـف المعنـوي، والانسـجام الإيقاعـي.

وهنـا لابـد مـن الإشـارة الى ان الجـمال ليـس غايـة في ذاتـه، بـل هـو وسـيلة لعمليـة التأثـير و الإقنـاع ، تُحـدث في المتلقـي تفاعـلًا وجدانيًـا ومعرفيًـا ينسـجم مـع الغايـة التـي خُلـق لأجلهـا.

•الخصيصة الزمانية (الصيرورة والتاريخ)

النـص القـرآني نـصٌّ مسـتمر في دلالتـه وحضـوره، لا يحـدّه زمـن، ولا تقيّـده ثقافـة، لأنـه يرتكـز عـلى القيـم الكونيـة الثابتـة التـي تخاطـب الإنسـان في كل عـصر، فهـو ليـس نصـا متوقّفـا، بـل مسـتمرا باسـتمرار حركـة الوجـود، يسـتوعب التحـول الزمـاني والتاريخـي، ويُعنـى بالعلاقـة التفاعليـة بـين الغيـب والتاريـخ والمعـاصرة، وتسـتمد هـذه الصـيرورة مشروعيتهـا مـن الوحـي ذاتـه، الـذي يتجـاوز الزمـان والمـكان ليظـل فاعـلًا في تكويـن المنظومـة المعرفيـة لمتلقيـه وإدامتهـا عـبر معاصرتـه لمتطلباتهـم الفكريـة والتشريعيـة.

بعبـارة أخـرى إنّ النـص القـرآني يمثـل نموذجًـا متفـردا يتكامـل فيـه البعـد الإلهـي مـع البنيـة اللغويـة الإنسـانية في نظـام إعجـازيّ خـاص، فهـو نـصٌّ ربـانيٌّ المصـدر، إنسـانيٌّ الخطـاب، كـونيٌّ الدلالـة، مسـتمر الفعـل، يسـتعصي عـلى المتلقـي لـه الإحاطـة الكاملـة بـه، لكنـه يفتـح آفاقًـا لا تنتهـي مـن التأمـل والفهـم والتجـدد.

ثالثيـا: خصائـص الكتـاب المقـدّس (العهديـن القديـم والجديـد)

•الطابع التاريخي التراكمي للنص

يتميّـز الكتـاب المقـدّس بطابـعٍ تاريخـيٍّ تراكمـيٍّ؛ إذ لم يُـدوَّن دفعـةً واحـدة ولا في سـياقٍ زمنـيٍّ محـدّد، بـل هـو حصيلـةُ مراحـلٍ طويلـة مـن التشـكّل النصّي امتـدّت قرونًـا[١٠]، تعكـسُ تطـوّر الوعـي الدينـيّ والاجتماعـيّ والسـياسيّ لبنـي إسرائيـل ثـم للمسـيحيّة الناشـئة.

هـذا التراكـم يجعـل النـصّ حامـلاً لطبقـاتٍ لغويّـة ولاهوتيّـة متعـدّدة، بعضهـا يُعـبّر عـن مرحلـة قبـل التوحيـد الصـارم، وبعضهـا عـن التحـوّل نحـو الإلـه الواحـد المطلـق.

•التعدّد اللغويّ والمصدر النصّي

يتكـوّن الكتـاب المقـدّس مـن نصـوصٍ كُتبـت بلغـاتٍ متعـدّدة: فالعهـد القديـم: كُتِـب بالعبريـة أساسًـا، مـع مقاطـع بالآراميـة[١١]، أمـا العهـد الجديـد: كُتِـب باليونانيـة[١٢].

زيـادة عـلى التعـدّد اللغـوي للنـص الـذي جـاء عـبر الترجمـة أيضـا أسـهم في إيجـاد اختلافـاتٍ عـدة في المعنـى والتفسـير، خاصـة في الترجمـة السـبعينيّة[١٣]، ثـمّ في الترجـمات اللاتينيّـة والسريانيّـة، بمعنـى ان نصـوص

الكتاب المقدس لم تبق بلغتها الاصيلة[١٤]. وبذلك اتّسم النصّ بتعدّديّة لغويّة فتحت باب التناصّ والتحوّلات الدلالية[١٥].

- **الوحي غير اللفظي**

في الكتاب المقدَّس الوحي هو وحي الحقّ ووحي الروح، وليس وحي التنزيل الحَرفي، بمعنى أن روح الله يُلهِم أُناسًا قديسين بالحقّ، فيدوِّنوا هذا الحقّ بكلّ أمانة بكلمات مفهومة، قد تتنوّع في اللُّغة والأسلوب، ولكنّها تَحمِل الحقّ الذي يريد الله أن يُشرِق به على البشريّة، كما يعصم روحُ الله كاتبي الوحي من الخطأ[١٦]. وبذلك يُعد النصّ موحى به إلهيًا، لكن الإلهام يُفهَم على أنه وحي بالمعنى لا باللفظ؛ أي إن الله ألهم الكُتّاب، فكتبوا نصوص العهد القديم والجديد، من هنا يظهر التمازج النصّي بين الإلهي والإنساني، الذي يجعل النصّ ذا بنية ثنائية المصدر: مصدرٌ علويّ بالمعنى، ومصدرٌ بشريّ بالصياغة[١٧].

- **التركيب الأدبي المتنوّع**

يتّسم الكتاب المقدّس بتنوّع أجناسه الأدبية[١٨]:

١. السرد التاريخي (التوراة وسفر الأعمال)
٢. الشعر والحكمة (المزامير، الأمثال)
٣. النبوءات والرؤى (إشعيا، رؤيا يوحنا)
٤. الرسائل اللاهوتية والتعليمية (رسائل بولس)

هذا التنوّع يعكس ثراء النصّ من حيث البنية الخطابية والبلاغية، ويجعل دراسته أقرب إلى تحليل أنساق سردية متراكبة أكثر من كونه نصًّا واحدًا متجانسًا، ولذلك كانت هذه الخصيصة هي احدى مبررات ظهور علم نقد الكتاب المقدس[١٩].

- **التاريخي واللاهوتي**

يُبنى النصّ الكتابي على الجدل اللاهوتي والتاريخي؛ فهو يسجّل علاقة الله بالإنسان عبر التاريخ، في صيرورةٍ تتخلّلها العهود، والسقوط، والخلاص، والفداء، مما يجعل البنية الداخلية للنصّ تقوم على التأويل الجدلي، لا على التقرير العقائدي الصريح فحسب[٢٠].

- **التحوّل من العهد إلى الكلمة المتجسّدة**

يتميّز الانتقال من العهد القديم إلى الجديد بتحوّلٍ أنطولوجيٍّ في طبيعة الخطاب ففي العهد القديم، الكلمة إلهية منزلة عبر الوحي والأنبياء. أما العهد الجديد، الكلمة تتجسّد في شخص المسيح[٢١]، هذا التحوّل يجعل النصّ الإنجيليّ نصًّا «كرستولوجيًّا»[٢٢] يؤسّس لوحدة النصّ والشخص، أو الكلمة والحدث.

- **التاريخ النصّي والنقد الأدائي**

تعرّض الكتاب المقدّس لعمليات نقلٍ شفاهيّ ثم تدوينٍ متكرّر، ما جعله موضوعًا لعلم النقد النصّي الذي يدرس

تعدّد المخطوطات واختلاف القراءات، فهو يهتم بالنص والمعلومات الخاصة به كافة، وطريقة انتقاله منذ كتابته حتى وصل إلى المتلقي من مخطوطة إلى أخرى، ويدرس اللغة التي كُتب بها النص وأيضًا اللغات التي تُرجم إليها إذا كان له ترجمات مثل الكتاب المقدَّس[٢٣]، وبذلك يتّسم النصّ بظاهرة التحوّل الأدائي، أي أن معناه يتشكّل في سياق القراءة او الاداء، لا في النصّ المكتوب وحده.

- **الانفتاح التأويلي**

النصّ الكتابيّ ليس منغلقًا على تأويل واحد؛ بل هو منفتحٌ على قراءات متعدّدة — لاهوتيّة، رمزيّة، تاريخيّة، أدبيّة — وهو ما يمنحه قابلية تأويليّة مفتوحة ، لذلك لم تتشكّل القراءة الرسمية للنصّ إلا عبر المجامع الكنسية التي حدّدت القانون وأقرت الأسفار القانونية.

ونظرا للبعد التاريخي للنص فموضوعية الفهم والتأويل تحتم على المؤول أن لا يحكم على النص التراثي المنتمي لحقبة تاريخية ما بأحكام يستلهمها من زمنه التاريخي الحالي، لأن ذلك يُعد مصادرة للماضي الذي ينبغي فهمه حسب معطياته وحسب سياقه التاريخي، لا حسب سياق المؤول، لأن مهمّة الملقاة الهرمينوطيقا تتمثل في بذل الجهد التأويلي من أجل استعادة المعنى الأصلي الأول عبر إعادة بناء موضوعية للحظة التاريخية التي شهدت إنتاج النص[٢٤].

- **البعد الإنساني والأنثروبولوجي**

إن القسم الأول من تاريخ الإنسان على الأرض في العهد القديم يشتمل على خلق آدم إلى عصر ظهور النبيّ موسى وخروج بني إسرائيل من مصر، فالعلاقة التشريعية والتكوينية بين الله والإنسان في هذه المرحلة يعني أن الارتباط التشريعي لله مع الإنسان يكون من خلال إرسال الرسل، وفي إطار «العهود» الإلهيّة التي يبرمها مع الإنسان، أما في العهد الجديد فإن المراحل التاريخية لحياة الإنسان وارتباطه مع الله لها رؤيتين مختلفتين نسبياً، ووجه الاختلاف مرتبط بالأسلوب والطريقة التصويرية التي اقترنَتْ في تلك الفترة من مراحل حياة الإنسان بمفاهيم: الهبوط، والخطيئة المرتكزة في طبيعة الإنسان، والعبودية، والشريعة، وتجسُّد ابن الله، وافتداء خطيئة الإنسان[٢٥] ـ

فالكتاب المقدّس يعكس تطوّر الإنسان في إدراكه للوجود والقداسة والخطيئة والخلاص؛ أي أنه لا يُقرأ فقط بوصفه نصًّا لاهوتيًّا، بل بوصفه سجلًّا للوعي الإنساني في بحثه عن الإله، ومن هنا تأتي قيمته الأنثروبولوجية في دراسة الدين كظاهرة بشرية في تفاعلها مع المطلق.

- **الوظيفة الكنسية والتعبدية**

النصّ الكتابيّ ليس مخصّصًا للدرس الأكاديمي فحسب، بل يُؤدَّى ضمن سياق

طقسيّ وشعائريّ، فيصبح «نصًّا مُمَارسًا» لا يُفصل فيه بين القراءة والإيمان، مما يضفي عليه خاصيّة الأداء الإيماني الذي يُعيد إنتاج المعنى في كلّ ممارسة ليتورجية[٢٦].

بعبارة اخرى

الكتاب المقدّس نصٌّ تاريخيٌّ متعدّدُ الطبقات، يحملُ في بنيته التقاء البشريّ بالإلهيّ، والتاريخيّ بالمطلق، والأدبيّ باللاهوتيّ، ويُعدّ من أكثر النصوص قابليةً للتحليل المقارن ضمن علوم النصّ والأنساق الدلالية الدينية.

المبحث الثاني: المقارنة المنهجية والمعرفية بين النص القرآني والكتاب المقدس

تُعدّ المقارنة المنهجية والمعرفية بين النص القرآني والكتاب المقدس من أكثر مجالات الدراسات الدينية حساسيةً وتعقيدًا، لما تنطوي عليه من تداخل بين البعد العقدي، والتاريخي، واللغوي، والمعرفي، فالمنهجية بوصفها إطارا مرجعيا لأفكار موحدة، لا تُستخلص علميا إلا من إطار موحد عضويا[٢٧]، لذلك تستلزم هذه المقارنة ضبطًا صارمًا للأدوات المنهجية، وتحرّرًا نسبيًا من الأحكام المسبقة، مع الوعي بالفوارق البنيوية بين النصّين والتي تم عرضها سابقا، إذ يمكن المقارنة بينهما وفق ما يأتي:

اولا: البُعد التحليلي لخصائص النص القرآني وخصائص الكتاب المقدس (العهدين القديم والجديد)

١. **المصدر والماهية:**

القرآن الكريم نصّ إلهي لفظًا ومعنىً، منزل من الله بلفظه العربيّ إلى النبي ﷺ عبر الوحي أما نصوص الكتاب المقدس فإن الوحي فيه لفظيّ مباشر، نصّ إلهاميّ بالمعنى، أي موحى به روحًا لا لفظًا، صاغه بشرٌ بإلهامٍ إلهيّ وقد تولى هذه المهمة «الكتبة»، لذلك هو بشريّ الصياغة، إلهيّ المضمون[٢٨]، ولذلك عملية المقارنة بين النصين تفقد جزء مهما من اجزاءها إذ لا وجه للمقارنة بين النص الالهي لفظا ومعنى وبين الالهي معنى وبشري لفظا، وإذا تمت المقارنة فهي تشابه الى حد ما مقارنة النص النبوي بالنص القرآني.

٢. **وحدة النص وتماسكه البنيوي**

يتميّز النص القرآني بـ الوحدة العضوية الكلية، بحيث يُفسّر بعضه بعضًا، وتنتظم سوره وآياته ضمن نظام دلالي متكامل. أما الكتاب المقدس يتكوّن من أسفار متعدّدة مستقلة، كُتبت في أزمنة وأمكنة متباينة، ما يجعل بنيته تراكمية تاريخية وليست عضوية.

٣. **اللغة والمصطلح**

اللغة القرآنية نظام اصطلاحي خاص يتجاوز المعجم العربي العام، له نسق دلالي مغلق داخل النص نفسه، يحكمه مبدأ التحكيم الداخلي.

أما الكتاب المقدس لغاته متعددة (العبرية، الآرامية، اليونانية)، ومعاني المفردات تتغير

بحسب الترجمة والسياق التاريخي، مما يجعله يفتقر لنظام مصطلحي مغلق موحّد.

٤. البنية الزمنية للنص

النص القرآني نصّ فوق-تاريخي؛ ينتمي إلى الزمن المطلق، مع اتصاله بالوقائع البشرية عبر التنزيل التدريجي، أما الكتاب المقدس فإنه نصّ تاريخيّ - سياقيّ؛ يمثل مسار تطوّر العلاقة بين الله والإنسان في التاريخ، يعكس مراحل النبوة والعهد والخلاص.

٥. وظيفة النص

القرآن الكريم حاكم ومؤسِّس للمعرفة، يوجّه الوعي الإنساني ويقدّم نسقًا معرفيًا كونيًا، يجمع الغيب والعقل والتاريخ والطبيعة، أما الكتاب المقدس سرد لاهوتي - خلاصي؛ غايته بناء الإيمان وفهم علاقة الإنسان بالله عبر الخطيئة والفداء.

٦. التكوين النصّي والنقل

القرآن الكريم نُقل بالتواتر القطعي كتابةً وشفاهةً، محافظًا على وحدة نصّه دون اختلاف في أصوله، أما الكتاب المقدس نُقل عبر مخطوطات متعدّدة مع اختلافات نصّية، ممّا أتاح نشوء النقد النصي لإعادة بناء الأصل الافتراضي[٢٩]، لأن نقد الكتاب المقدس قائم على العلم لا على الظن، لذلك بعض المناهج النقدية ساهمت في اعطاء احكام للكتاب المقدس اقرب للصحة، لتتجاوز اشكالية تعدد النسخ والنقل منها[٣٠].

٧. المعنى والتأويل

التأويل القرآني قائم على منظومة داخلية (القرآن يفسّر بعضه بعضًا) وعلى قواعد لغوية وبلاغية منضبطة، وإن تعددت التأويلات إلا انها عادة ما يتم ارجاعها الى قواعد تفسيرية محددة اذا خالفتها عُدت تلك التأويلات من الآراء الفردية، أما التأويل الكتابي تاريخي وتعددي؛ منفتح على القراءات الرمزية واللاهوتية، وتنوعه أسّس مدارس تأويلية متباينة.

وهنا لا اختلاف بين الدراسات التأويلية للنصين من جهة المنهج وطبيعة التعاطي مع الدلالة وما تكتنزه من معنى سيما وإن المفسر يعمل على إظهار المعنى الذي يتوافق مع متبنياته الفكرية وانتمائه المعرفي، وعليه فالموضوعية هنا نادرا ما تتحقق بسبب طبيعة المنهج الذي يخضع له النص الديني وطبيعة المفسر المتعاطي مع النص سواء كان نصا قرآنيا أو كتابيا.

٨. العلاقة بين الوحي والبشري

الإلهيّ في النصّ القرآني كليّ الحضور؛ بمعنى لا وجود لتدخل بشري في صياغة معانيه وألفاظه، بينما الكتاب المقدس نصّه عبارة عن تفاعل بين الإلهي والبشري؛ الكاتب يعبّر بلغة عصره وثقافته، فالوحي يتجسّد في حدود التاريخ الإنساني.

٩. البعد المعرفي والأنطولوجي[٣١]

النصّ القرآني نظام معرفيّ مغلق على الوحي ومنفتح على الكون؛ يتكامل فيه

الغيب والعقل والطبيعة في نسق واحد. أما الكتاب المقدس نصّ إيمانيّ سرديّ يُعنى بالوجود الإنساني في علاقته بالخلاص، لا يؤسس نسقًا معرفيًا شاملًا.

بعبارة اخرى:

النص القرآني يتميّز بـ «الوحيانية لفظا ومعنى» التي تُضفي عليه قداسة غير قابلة للنقد النصّي، وتجعل منه مرجعية معرفية حاكمة تحكم الفكر والعلم.

أما الكتاب المقدس هو نصّ تطوريّ منفتح على النقد والتاريخ، تتداخل فيه اللغات والثقافات، ما جعله موضوعًا لعلم النصوص التاريخية.

من منظور لساني-معرفي، النص القرآني ينتمي إلى نموذج النظام الدلالي الذاتي المرجع، بينما الكتاب المقدس ينتمي إلى نموذج النظام السردي التاريخي المفتوح. على مستوى الوظيفة التأويلية، القرآن يسعى إلى «توجيه العقل الجمعي»، بينما الكتاب المقدس يهدف إلى «خلاص النفس الفردية» ضمن مسار العهد والفداء.

ثانيا: الإشكاليات المنهجية في الدراسات المقارنة

١. تباين طبيعة النصوص: فالقرآن نص عربي بخصائص لغوية وبلاغية ووحدة نصية محكمة، بينما

الكتاب المقدس نصوص متعدّدة اللغات (عبرية، آرامية، يونانية) وطبقات تحريرية مختلفة، ما يصعّب تطبيق منهج واحد للمقارنة، لأن طبيعة اللغة العربية تختلف عن اللغات الاخرى، ولا يخفى ان لكل لغة سماتها وخصائصها التي تؤثر في اداء المعنى وبيان الدلالة.

٢. اختلاف المرجعية في التعامل مع النص: فالمسلم يتعامل مع القرآن بوصفه وحيًا محفوظًا، وينظر للكتاب المقدس على انه مجموعة نصوص تعرضت للتحريف والتغيير، كذلك بعض الباحثين قد يتعاملون مع نصوص الكتابين على أنها نتاج تاريخي قابل للنقد والتعديل، وبالتالي اختلاف المرجعية المعرفية في التعامل مع النصوص تؤدي الى نتائج متباينة الاحكام.

٣. غياب النسخة «الأصلية» للكتاب المقدس ما بين المخطوطات القديمة، الترجمات، والاختلافات النصية، لا يوجد نص متفق عليه تمامًا، بعكس النص القرآني الذي يتميز بوحدة نصية.

٤. إشكالية الأدوات المنهجية

اعتماد النقد التاريخي واللساني والأدبي في الدراسات الكتابية، مقابل هيمنة المناهج التفسيرية واللغوية والبلاغية في الدراسات القرآنية، يخلق صعوبة في إيجاد أرضية مشتركة.

٥. المقارنة غير المتكافئة: هناك ميل أحيانًا إلى مقارنة نص قرآني محدّد بنص توراتي أو إنجيلي دون النظر إلى السياق الكلّي، مما يؤدي إلى نتائج مجتزأة أو غير دقيقة.

ثالثاً: الإشكاليات المعرفية في الدراسات

المقارنــة

١. الاختلاف في الرؤية للعالم

النــص القــرآني ينطلــق مــن توحيــد محكــم ونســق عقــدي متماســك، في حــين نصــوص الكتــاب المقــدس تحمــل رواســب أســطورية وحلــول واتحــاد وتجســد الكلمــة في كثــير مــن أجزائهــا.

٢. إشكالية المصطلح والدلالة

كثــير مــن المصطلحــات مثــل: النبــوّة، الوحــي، الشريعــة، الخطيئــة، تختلــف جذريًــا بــين القــرآن والكتــاب المقــدس، مــما يجعــل الترجمــة المبــاشرة مضللــة لمعانيهــا الأســاس، إذ تعطــي معنــى مغايــرا للمعنــى الأصيــل للمصطلــح، وهــي واحــدة مــن اهــم الاشــكاليات التــي تواجــه ترجمــة النصــوص عامــة والدينيــة خاصــة.

٣. التلقي والوظيفة

القــرآن نــص مرتبــط بالهدايــة والتشريــع، بينــما الكتــاب المقــدس نــص قرائي-تاريخــي أكــثر منــه طقــوسي (عــدا بعــض الاســتخدامات الليتورجيــة)، مــما يؤثــر عــلى طبيعــة حضــوره في العقــل الجمعــي.

٤. البعد التاريخي مقابل البعد الكوني

النصــوص التوراتيــة والإنجيليــة مشــبعة بالســياقات التاريخيــة الخاصــة (أنســاب، ممالــك، أحــداث سياســية) بينــما القــرآن يعالجهــا ضمــن إطــار رســالي كــوني يتجــاوز تفاصيــل المــكان والزمــان.

٥.التحيزات المسبقة

ســواء لــدى بعــض الباحثــين الغربيــين الذيــن يدرســون القــرآن بــأدوات الكتــاب المقــدس، أو لــدى بعــض المســلمين الذيــن يدرســون الكتــاب المقــدس مــن منطلــق الــردّ والجــدل لا الفهــم والتحليــل.

النتائج

١. الإشــكاليات المنهجيــة تــدور حــول «أدوات المقارنــة وتكافــؤ النصــوص»، أمــا المعرفيــة فتختــص بـ»طبيعــة النصــوص ورؤيتهــا للوجــود»، ولذلــك، أي دراســة مقارنــة تحتــاج إلى وعــي مــزدوج: بالمنهــج (كيــف نقــارن؟) وبالمعرفــة (مــا الــذي نقارنــه؟).

٢. المشــتركات بــين القــرآن الكريــم وبــين نصــوص الكتــاب المقــدس تســهم بفاعليــة في عمليــة المقارنــة العامــة انطلاقــا مــما ذكــره القــرآن الكريــم عــن الكتــب الســماوية، لكــن الاختــلاف يقــع في الجزئيــات التــي تبنــي عنــد الباحــث معطيــات التقاطــع والافــتراق بــين النصــوص خــارج القــرآن الكريــم مــما يــؤدي الى نتائــج مقارنــة غــير دقيقــة.

٣. القبليــات المعرفيــة لــدى الدراســين للكتــاب المقــدس والقــرآن الكريــم لهــا حاكميــة في عمليــة القــراءة والمقارنــة، ولذلــك تفتقــر للموضوعيــة في الاعــم الاغلــب.

٤. عمليــة اخضــاع النــص القــرآني لمناهــج دراســة الكتــاب المقــدس، او اخضــاع نصــوص الكتــاب المقــدس لمناهــج دراســة النــص

القرآني تسهم بفاعلية في ايجاد فجوة كبيرة بين تلك النصوص مما يؤدي الى ظهورها بمظهر التناقض والاختلاف فيما بينها، فتأتي نتائج المقارنة اسقاطية وليس استنباطية.

٥. ضرورة فهم النصوص الأصيلة للكتاب المقدس قبل الشروع في عملية مقارنتها بالنص القرآني، لفتح آفاق فكرية أكثر عمقا معرفيا في دراسة النصوص الدينية المقدسة.

هوامش البحث

١- يذهب بعض الباحثين ومنهم عبد الكريم سروش إلى ان الوحي عبارة عن تجربةٍ دينيّةٍ نتيجة خبرة بشرية، وهذه التجربة يمكن أن تحدث لكلّ إنسان، ومن ثمّ لا بدّ من اعتبار تجارب الناس الدينيّة مصدرًا لإثراء الدين والرقي بتعاليمه، وبفضل هذه الحالة يتّسع نطاق الدين وتتنامى أصوله على مرّ العصور، لذا يمكن اعتبار التجارب الدينية للعرفاء بأنّها مكمّلة وموسّعة لتجارب النبي محمّد صلى الله عليه وآله. (ظ/ بسط التجربة لنبوية، عبد الكريم سروش، ص ٢٨).

٢- منهجية القرآن المعرفية، أبو القاسم حاج حمد: ٨٦.

٣- م.ن: ٩٧.

٤- النموذج (Model) في الدراسات النصيّة: بنية نظرية أو تصورية تُستخلص من تحليل مجموعة من النصوص أو الظواهر اللغوية، تُستخدم لفهم آليات اشتغال النص، وتفسير بنيته ووظائفه ودلالته، وتُعدّ أداة منهجية لضبط الظواهر النصيّة وتمثيلها علميًّا، أي أن النموذج ليس النص نفسه، بل هو رؤية علمية تمثّل الكيفية التي يُبنى بها النص أو يُؤوَّل أو يُنتَج. (ظ/ اللسانيات وأسسها المعرفية، عبد السلام المسدي: ١٤٩-١٥١)

٥- ظ/ وجوه إعجاز القرآن العظيم، خالد نواف الشوحة: ١٠٧.

٦- ظ/ الحاكمية، محمد أبو القاسم حاج حمد: ٦٧.

٧- يعرّف الاتساع الدلالي بأنه: ظاهرة لغوية تشير الى حيوية النص وفاعليته في استيعاب المعاني المتنوعة مع الحفاظ على المعنى الأساس قائم، ولا يترجح معنى من تلك المعاني إلا بدليل.

(ظ/ اتساع الدلالة في الخطاب القرآني ، محمد نور الدين المنجد: ٧٦).

٨- ظ/ بحوث في منهج تفسير القرآن الكريم، محمود رجبي: ٧١.

٩- ظ/ م.ن: ٧٤

١٠- ظ/ المدخل الى العهد القديم ،القس صموئيل يوسف: ٤٧.

١١- ظ/ م.ن: ٤٣.

١٢- ظ/ مدخل الى الكتاب المقدس ، سليم دكاش اليسوعي: ١٥

١٣- الترجمة السبعينية تعني ترجمة العهد لقديم في القرن الثالث ق.م على يد سبعين كاتبا كل واحد منهم مستقل عن الاخر فوصلوا الى ترجمة واحدة متطابقة تماما ولذلك قيل مثل هذه الترجمة لا يمكن ان تكون إلا وحيا من الله. (ظ/ مدخل الى الكتاب المقدس ، سليم دكاش اليسوعي:١٥).

١٤- يذكر موريس بوكاي في مقارنته بين القرآن الكريم والكتاب المقدس مبينا وجه المفارقة بينهما: « إن مؤلفي الأناجيل الأربعة المعترف بها لم يكونوا شهود عيان للأحداث التي يروونها.. ، فإن الوحي المسيحي انبنى على شهادات إنسانية متعددة وغير مباشرة ؛ لأننا لا نملك أية شهادة من شاهد عاين حياة المسيح» (ظ/ التوراة والانجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي:١٨)

١٥- ظ/ مدخل الى الكتاب المقدس ، سليم دكاش اليسوعي: ١٥

١٦- ظ/ مفهوم الوحي في المسيحيّة، الاب يوحنا مشرقي: https://www.stmaryofchicago.org/ ٤٣٣/Article/Details

١٧- ظ/ الكتاب المُقدَّس كتابًا إلهيًّا وبشريًّا، ريتشارد د. فيليبس: https://ar.thegospelcoali-tion.org/scripture-as-a-divine-and-human-/book

١٨- ظ/ مدخل الى الكتاب المقدس ، سليم دكاش اليسوعي: ١٨

١٩- تفرع عن علم نقد الكتاب المقدس علمان هما : علم نقد العهد القديم، وعلم نقد العهد الجديد، و يقسم النقد الكتابي بشكل عام إلى قسمين: النقد العالي أو الأعلى، و النقد الأدنى أو النقد النصي، وكان لهذه العلوم أثرها في تحليل النص الكتابي واستخراج مكنوناته وحقائقه. (دراسة القرآن الكريم عند المستشرقين في ضوء علم نقد الكتاب المقدس: ٨).

٢٠- ظ/ تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس، يوسف كلاّم: ٢٧-٢٩.

٢١- الله وتاريخ الإنسان / دراسةٌ مقارنة بين الكتاب المقدَّس والقرآن الكريم، حمد تقي أنصاري پور: مركز البحوث المعاصرة بيروت https://nosos.net/%d٨٨%d٩%٨٧-%d٩%٨٤%d٩%٨٤%d٩%aV%d٨%aV%ae-%d٨%a%d٨%d٩%b١%d٨%aV%aa%d٨%٨٤%d٩%a٥%d٨%b٣%d٨%٨٦%d٩%٨٦-%d٩%a٩%d٨%b٣%d٨%aV%d٨%b١%af%d٨%d٨%٨٦%d٩%b١%d٨%aV%d٨%٨٢%d٩%٨٥%٨c-%d٩%٨٦%a%d٩%d٩%a٨%d٨%-a٩%/

٢٢- علم طبيعة المسيح أو الكرستولوجيا (بالإنجليزية: Christology) هي مجال دراسة ضمن اللاهوت المسيحي مهتم بدراسة طبيعة يسوع، وخاصة كيفية ارتباط الألوهية والإنسانية في شخص يسوع او ما يعبر عنه بتجسد المسيح. (موقع معرفة https://www.marefa.org/%D٩%٨%AA%D٩%D٨%B٣%D٨%B١%D٨%٣%٨٤%D٩%٨٨%AV%٨A%D٨%AC%D٩%D٨%٨٨%D٩).

٢٣- النقد الكتابي: مدارس النقد والتشكيك والرد عليها (العهد الجديد من الكتاب المقدس) ، أ. حلمي القمص يعقوب، نقلا عن أصالة الكتاب المقدَّس، ترجمة القس إيلياس مقار: ١٠.
https://st-takla.org/books/helmy-elkom-mos/biblical-criticism/new-testament/462.html#(5)

٢٤- ظ/ مدخل الى أسس فن التأويل والتفكيك، هانز جورج غادامير، ترجمة وتقديم: محمد شوقي الزين، مجلة فكر ونقد، العدد ١٦، فبراير/ ١٩٩٩، المغرب، ص ٨٥- ١٠٦.

٢٥- ظ/ الله وتاريخ الإنسان / دراسةٌ مقارنة بين الكتاب المقدَّس والقرآن الكريم، محمد تقي أنصاري پور، مجلة نصوص معاصرة.

٢٦- الليتورجيا: مصطلح يشير إلى الطقوس والاحتفالات والصلوات والأسرار الجماعية للكنيسة الكاثوليكية، وهو احتفال بسر الفصح - أي سر آلام المسيح وموته وقيامته وصعوده، وخطة الله للخلاص الأبدي، وهناك من يصفها بأنها وسيلة لتعاطي المؤمن بالقداسة، موضحًا أن الليتورجيا «رؤية للعالم» وليس شعائر مجردة، إذ تتداخل الطقوس مع حياة المؤمن الأخلاقية. (ظ/ نحو مصطلحات مسيحية عربية موحدة، مجموعة باحثين: ١٦٩).

٢٧- ظ/ منهجية القرآن المعرفية، أبو القاسم حاج حمد: ٩٣.

٢٨- ظ/ مدخل الى الكتاب المقدس ، سليم دكاش اليسوعي:١٥

٢٩- تختلف التعريفات المعطاة للنقد التوراتي (نقد الكتاب المقدس) باختلاف ايمان معرفيه وعقيدتهم، فقد عرفه رشا سيمون بقوله» العناية المطلوبة من اجل تصحيح الاخطاء التي تسربت الى الكتب المقدسة» وعرفه ايضا بـ « معرفة كيفية التوفيق بين ما نعلمه وما فرض لينا الايمان به» بينما يعرفه اخرون بأن النقد التوراتي هو «جعل صحتها وحيا الهيا محل شك ومن التقليل من سلطتها اللاهوتية والاخلاقية» (تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس، يوسف كلّام: ٢٩)

٣٠- ظ/ تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس، يوسف كلّام: ٢٩.

٣١- الانطولوجيا: تعني علم الوجود وهو قسم من اقسام الفلسفة يبحث في الوجود مجردا عن كل تعيين او تحديد. (المعجم الفلسفي، جميل صليبا: ٢/ ٥٥٨).

قائمة المصادر والمراجع

١.جميل صليبا، المعجم الفلسفي، بيروت :دار الكتاب اللبناني، ط،٢ ١٩٨٢م.

٢.خالد نواف الشوحة، وجوه إعجاز القرآن العظيم، عمّان :دار النفائس، ط،١ ٢٠١٠م.

٣.سليم دكاش اليسوعي، مدخل إلى الكتاب المقدس، بيروت :دار المشرق، ط،٣ ١٩٩٢م.

٤.صموئيل يوسف، المدخل إلى العهد القديم، القاهرة :دار الثقافة، ط،١ ١٩٨٣م.

٥.عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، تونس :الدار التونسية للنشر، ط،١ ١٩٨٥م.

٦.عبد الكريم سروش، بسط التجربة النبوية، ترجمة :حسن يوسف، بيروت :دار الساقي، ط،١ ١٩٩٨م.

٧.محمد أبو القاسم حاج حمد:

•الحاكمية :قراءة معرفية في المفهوم، بيروت :دار الهادي، ط،١ ١٩٩٦م.

•منهجية القرآن المعرفية، بيروت :دار الهادي، ط،٢ ٢٠٠٦م.

٨. محمد نور الدين المنجد، اتساع الدلالة في الخطاب القرآني، دمشق :دار الفكر، ط،١ ٢٠٠١م.

٩.محمود رجبي، بحوث في منهج تفسير القرآن الكريم، قم :دار الهادي، ط،١ ٢٠٠٤م.

١٠.موريس بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ترجمة :حسن خالد، القاهرة :دار المعارف، ط،٧ ٢٠٠٠م.

١١.هانس جورج غادامير، مدخل إلى أسس فن التأويل والتفكيك، ترجمة وتقديم :محمد شوقي الزين، مجلة فكر ونقد، العدد،١٦ ١٩٩٩م.

١٢.يوسف كلاّم، تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس، بيروت :دار الهادي، ط،١ ٢٠١٢م.

المواقع والمجلات

١.حلمي القمص يعقوب، النقد الكتابي: مدارس النقد والتشكيك والرد عليها (العهد الجديد)، نقلًا عن: أصالة الكتاب المقدس، ترجمة القس إلياس مقار، منشور إلكترونيًا على موقع كنيسة الأنبا تكلا.

٢.حمد تقي أنصاري پور، الله وتاريخ الإنسان: دراسة مقارنة بين الكتاب المقدس والقرآن الكريم، بيروت: مركز البحوث المعاصرة، ٢٠٠٨م (نسخة إلكترونية).

٣.موقع معرفة، مادة: كريستولوجيا، موسوعة معرفة الإلكترونية.

٤.الأب يوحنا مشرقي، مفهوم الوحي في المسيحية، مقال منشور على موقع St. Mary of Chicago.

٥.ريتشارد د. فيليبس، الكتاب المقدس كتابًا إلهيًا وبشريًا، مقال مترجم منشور على موقع The Gospel Coalition – النسخة العربية.